

المقصد

غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٤

صدور المشاركة والمغاربة

شير

١٢٥٩ - ١٨٠٥

المؤثرات في اخلاق الرجال كثيرة واهمها التربية والمحيط فكلما حسن
 هذان العاملان جاءت منهما نفوس مجردة عن الشرور نازعة الى خير الأمور .
 واكثر العلماء على ان من الاخلاق ما هو طبيعي ومنها ما هو كسبي يستفاد بالعادة
 والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولاً فاولاً حتى يصير
 ملكة وخلقاً . قال بعضهم ليس شيء من الاخلاق طبيعياً للانسان ولا نقول انه
 غير طبيعي وذلك انا مضطربون على قبول الخلق بل ننقل بالتأديب والمواظظ اما
 سريعاً او بطيئاً . وهذا الرأي الاخير هو الذي اخاره العلماء المتأخرون واكثر
 فلاسفة الاسلام ومنهم ابن مسكويه واحسن ما جاء في تربيته النفس والاخلاق
 قوله تعالى « ونفس وما سواها فالهمها تجرورها وترفواها قد افلح من زكاهما وقدخاب
 من دساها »

هذه القاعدة الكلية في التربية لا تكاد تختلف ويشهد ظهورها في كبار رجال
 الخليفة مثل مترجما اليوم شيلر الالماني رافع علم الحربة والنهضة الادبية في أمته
 والساعي الى اعلاء شأنها وابلاغها درجات الكمال فقد اثرت فيه التربية الأولى
 التي ينشأ عليها كل سليم الفطرة في الغالب من خب الخير المحض وكره الشرفا شاماز
 من اعمال البشرو سيديت الحياة ثم لما فذفت به ادوار الحياة الى المدرسة الحقيقية
 واغني بها مدرسة العالم واخذ في مئانته كبار ارباب العقول وحمله العلم المقرون بالعمل
 تجلى له الراجح من المرجوح وصرح له الحق عن محضه وكشف له اصحابه وجه
 الحقيقة في امور كثيرة . وكل قرين بالآثارن يقندي .

لم يكن شيلر كصاحبه كيتي رجلاً خدسه السعد وحالفه الرغد بل كان
 من شقاء الحياة وقلة ذات اليد المثل المضروب والرجل المحروب المحزوب . عزم والده
 ان يعلمه اللاهوت من اول امره ليكون له مورد رزق في حياته ويعيش عيش
 الواعظين والمرشدين وان شئت فقل عيش الزاهدين والمزهدين الا ان الدوق شارل
 وجين دي ورتمبرغ اشار على والديه ان يبعثاه الى مدرسة شارل التي اسمها في
 استوتكارت وفيها درس الحقوق والطب وانصرف مدة الدراسة الى مطالعة الكتب
 العظيمة تلاوتها على التلاميذ سرا وقراءة جانب من اسفار الادب من سنة
 ١٧٧٣ الى سنة ١٧٨٠

ولما خرج من المدرسة عين جراحا في الجيش براتب ١٨ فلوريني في الشهر
 فضاقته به الدنيا بما رحبت اذ كان يقضى عليه ان يخضع لنظام الجندية ويشتهي
 صاغرا لاوامر امير تكاد مستبداة بكشف رعاياه عن اسرارهم الخاصة ومراقبة
 سيرهم عن امم . فلم تمض عليه ستان في خدمة الدوق دي ورتمبرغ حتى ضيق
 صدره بما يلقاه من جور القوانين اتايبية في الاغلب عن طور العقل بخاصمه لانه

كان يمنعه من نشر شيء من قلبه في الادب وحبسه مرة خمسة عشر يوماً لأنه ذهب
 لحضور رواية تمثيلية بدون اذن فاضطر شيلران بفر بنفسه ليجتمع بحريته فتواري
 مدة عن الانظار مخافة ان يتبض عليه ويسلم للدوق في ورتمبرغ وظل سنتين بعد
 ترك الخدمة يقاسي صروف المحدثان لا ملجأ ولا مورد ولا مال ولا فراغ بال .
 اجول من قطرب وافلس من ابن المذاق واهون من قعيس على عمته يقذف به
 نجد الى سهل وسهل الى حزن ويؤسه متصل كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها
 ان راح ذات اليمين تطوح به الطوايح ذات الشمال وان اتجه نحو الشرق صاح به
 صاح عليك بالقرب وكأن الطبيعة عاندته في جسمه وصحته كما عاندته في وفرة
 وماله . فقد كان نجيفاً ضئيلاً يمشي كالقلق حرم التدوق حتى يكاد يضحك منه
 من يراه . واطالما سمع منه اصحابه عند تمثيل رواياته اذ لم يكن يعني بهندامه ولا
 بلباسه فكنت تراه رث الهيئة والسربال وييل المسكن تنبعث من غرفته رائحة
 الدخان الذي يدخله وتراها غاية في التشويش فمن نسخ من مصنفاته مطروحة في
 كل ناحية ومن بطاطا ملقاة مبعثرة في الزوايا ومن صحاف فارغة وزجاجات
 واوان وغيرها تجدها هنا وهناك . وكثيراً ما كان صديقه كيتي يضحك من مجالسته
 في غرفته على عهد صداقته الاولى ولما بحث عن سر هذه التثانة تبين له ان شيلران
 يحفظ التفاح العفن في جزار مائدته .

وهكذا كانت فاتحة حياة شيلربوساً وشقاء وسقماً وعناء . روح ملتبهة
 متمسكة محصورة في جسم سريع العطب لها اتصال بالدالم الخارجي ولكن على ارداء
 الوجوه والصور وحالاته الداخلية مقيدة بامور خارجية لا ترضيك بوادرها فكادت
 تكون تربيته وحشية ثقيل فيه روح الاستقلال وذلك لما يراه من الشقاء الذي
 يكرمه على الجهاد المتواصل لتحصيل رزقه كل يوم وكاد ما يلقاه من الاثافي في

صباه يقضي عليه بالثأر في سبيل العلم وهو ابدًا يتقاذفه عالمان افكاره الفلسفية
الخيالية وميله الى الآراء الثورية .

وبالجملة فقد كان على فقره وضعفه لا يرضيك ظاهره لانه لم يخلق ليحجب
الناس ويذهب بفضل الشهرة بينهم مثل كيتي صديقه ولا يهيش في العالم عيش
السعداء ويستمتع بطيات الحياة الاجتماعية ولذلك تخلى شيلر وهو في سن الفتوة
عن العالم الخارجي وعمد الى القوص في عالم الفكر والخيال . وقد ذكر احد واصفيه
الادوار التي تلبت عليه فقال : انه كان لاول عهد بهيذاً كل البعد
عن العالم الحقيقي يشتعل ذكاءً ممزوجاً بالعجب وقد اثرت فيه كتابات جان جاك
روسو الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي وغيره من شعراء المانيا فاصبح عدو المجتمع
اللدود وخصم التمدن الحديث والقديم . عرف بالاشتهار من احوال الشيرودوس
النظر في مستقبل العالم وبسلامة النية في دعوة الخلق الى الكمال على ما تجلى ذلك
في كتاباته التي نشرها في صباه ثم بدلته التريبة واثرت فيه اصحابه وعشراؤه فاخذ
يحسن ظنه بالمدينة الحاضرة وارتأى ان يخرج الانسان من طور الطبيعة اولاً
ويدخل في ميدان الجهاد ليجرز بعمله مقاماً ادياً محموداً فيكون من ذلك سعادة الانسانية
وقالوا في وصف شيلر ايضاً انه لم يكن يعشق الطبيعة مثل صاحبه كيتي وما كان
ينظر للعالم والناس مثل هذا نظر الصبور الذي لا غرض له ولا هوى بل كان يهتم
بجنته الداخلية اولاً ثم بفكاره وما شعر به انه كان يتخمد في نفسه ويقف في صدره
من الاحساس والشعور فما ذكره في شعره ولم به في نثره من احوال العالم هو ما وقع
في قلبه وقاسى منه بذاته واقتنع به اقتناع فيلسوف واخلاقي . ومن اهم ما شعر
به ميله الى الحرية ولكنه كان ميلاً مجرداً ليس فيه اثر للعمل اذ لم تخلق مع شيلر
نلك الخاصة من اثره النفوس واهاجة العواطف . وقد منحه فرنسا عام ١٧٩٢

حق الوطنية الفرنسية لحرته وتحمسه . ولقد أشرب قلبه حب الحرية بما فيه من
 فطرة سامية تأتي الظلم ولا تميل الى الصغار . وكان هذا الاستعداد فيه رد فعل
 طبيعي لما فاساه من الضغط منذ دخل المدرسة بل انه حجة له لنقض اساس
 الاستبداد الذي عرف به صفار امراء المانيا حين اني منهم الشدائد . جاء في موسوعات
 العلوم الفرنسية : وفي سنة ١٧٨٧ ذهب شيلر الى مدينة ويتر رجاء نيل الزلفي
 من ثلاثة كتاب وهم ويلاند الشاعر الاديب وهردير الكاتب الفيلسوف وكيتي
 العالم الفيلسوف وكان الدوق شارل اغتت قد استدعاهم الى حماه وجعلهم من رجال
 قصره فراد شيلر من فقر به منهم ان يسلك سيلهم في تقوية جميع قواه مطلقة
 حرة بدون ان يهتم لغير ذلك من اسباب النجاح فخاب سعيه اولاً من الانضمام اليهم
 وتكثير سوادهم ولكنه بقي مقبلاً في ويتر وان كان بعيداً عنهم رغم اخفاق ما قصد
 له وانتهت به الحال بعد بضع سنين قضاها في اشق انواع الصبر المحزون ان نال مرتبة
 ثابتة فميين استاذاً في كلية اينا سنة ١٧٨٩ وفي السنة التالية تزوج بشارلوت
 دي لانجفيلد فرأى منها رفيقة تفهم مغازبه ومراميه وتحميه وتدني بامرته وتخلص
 في خدمته خصوصاً في وقت مرضه .

نساءه حب زوجته له وانجاب تلاميذه واصحابه بمواهبه واحترامهم له على
 التفرغ للعمل براحة بال اكثر من ذي قبل فاخذ ينغير شيئاً فشيئاً واخذت تهدأ
 افكاره من اضطرابها وتلين نفسه بعد شموستها وتجلت له الغاية التي يرمي اليها
 ويقضى عليه بعد ذلك ان يقتحمها بعزم ومضاء . فراح يبذل اقصى مجهوده في
 التأليف وكثيراً ما كان يفرط في النظر ويعمل في الكتابة عملاً يجاوز الطوق
 ثم دعته الحال ان يتوفر على دراسة التاريخ دراسة الخبير البصير ليزيد به خبرة
 ويلتقح به شعره . وكان يكتب في صغره كيفما اتفق فرأى من الضروري ان

يستكثر من المطرف التاريخية الثابتة المحسوسة وايقن ان مادته لا تغزر وافكاره لا تضحج الا بالتخلي عن الشعر زمانا والانتقطاع الى درس التاريخ وان يتعلم كما قال عن نفسه امورا كثيرة هو في حاجة اليها ويزرع قبل ان يحصد . ثم درس العلم الالهي وامور الآخرة اي درس الفلسفة في كتب فلاسفة اليونان الاقدمين وتبحر في فلسفة « كانت » الحكيم الالماني الشهير فاستفاد من دراسته فلاسفة اليونان لطف الاداء وجللاء المعاني ووضوحها وسهولة المآخذ مما لم يكن له اثر في منظومه ومشوره ورأى في « كانت » اعظم ممثل للافكار الحديثة وراقه منه حكمه النامية التي ذهب بها مذهب زينون الفيلسوف اليوناني كما راقه بافكاره في الجمال والفنون . وقد دفع المترجم به الى درس كتب الفلسفة اليونانية وبلاند المشار اليه كما دفعه الى التبحر في مصنفات « كانت » زينهولد الفيلسوف حتى اصحبت تأليفه التي صدرت عنه في تلك الحقبة من حياته كأنها توفيق من الفلسفة اليونانية والكاتبة اي بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة .

وفي سنة ١٧٩٤ استحكمت صلوات الوديين شيلروكيي و كانا تعارفا سنة ١٧٨٨ تعارفا لم يؤد الى احكام علاقات القلوب فانفع المترجم من صاحبه كثيرا واقل ما استفاد منه انه اراده على الرجوع الى حظيرة الشعر وكان زهد فيه زمانا على ما تقدم وانصرف الى التاريخ والفلسفة . عاد اليه بنشاط غريب بمد انقطاعه عنه ست سنين . ثم مرض سنة ١٧٩١ مرضا كاد يودي بحياته فلما ابل آلى ان يعانم الساعات الباقية من حياته ليبقي له اثارا تنفع الناس فالف في مدة عشر سنين وهي المدة التي قضاها في عشرة كني تأليف كثيرة كأنه كان يسارق بها المنون واكثرها في الشعر والادب والنقل عن اللغات .

وفصارى القول فان شير الاديب الشاعر المؤرخ الحكيم المفكر هو بعد كيتي
 اكبر رجل من اهل الادب في المانيا وربما كان مشهوراً لدى الخاصة والعامة اكثر
 من صديقه . وقد حسده معاصروه ولم يعرفوا به حتى ان المحدثين من اهل الادب
 الساعين الى نزع قيود الانشاء القديم ومنهم الفيلسوف نيتش الالماني حمل عليه
 حملات منكرة ونعل حملات هذا الفيلسوف كانت على شير في الزمن الذي جن
 فيه وهو لا يقل عن عشرين وهدى بالفلسفة هذيان المحموم . وامتاز شعر كيتي
 على شعر شير بانك تقرأ في الاول النبالة والترف وشعر الثاني يطرب به الشعب
 فكان الاول لزعماء الامة والثاني للامة نفسها وان شئت فسمهما شاعر الاغنياء
 وشاعر الفقراء .

تحت

وقد وصفت صاحب هذه الترجمة العقيلة دي ستايل الكاتبة الفرنسية في
 كتابها « المانيا » بما يأتي معرباً بقلم احد اصديقائنا :

كان شير عظيم الذكاء ثابت الاعتقاد وما خلتان قل ان يجتمعا في رجال
 الادب . تقرأ بين عينيه ما يسري بين جنبيه وترى شخصه مصوراً في كتابه
 يوحى اليك ذلك الادب الوافر والعلم الغزير والفضيلة النادرة . وما كان شير
 ممن يفترون اعتقادهم تمويهاً وتضليلاً لغيزهم . بل كان يحب الشرف ويشغف بالمجد
 فيسعى اليهما من كل سبيل . وما اجل الذكاء الذي سرى في اعطافه الشرف وقوة
 النفس اذا امتزجت بصفاء السريرة . فقد كان شير صديقاً وفيّاً وبارحياً وزوجاً
 باراً يحترم النساء ويعجب بالفنون الجميلة ويعبد الباربي تمالى على ما وهبه من ذكاء
 نادر على ما ترى ذلك ماثلاً في مصنفاته لو قلبت تضاعفها وحدثت في سطورها .

ولقد لقيت شير لأول مرة في قصر الدوق دي وبار في مجلس حافل باهل
 العلم فاذا هو يتوقد ذكاءً وبعد نظر . وكان يجيد قراءة الفرنسية وان لم يتكلم بها

وقد ناظرته في افضلية طريقة التمثيل عندنا فقام به ارضني على ما يجد في لسانه من
حسنة وعجز عن التكلم بالفرنسية وابتان عن فضل جم وعلم واسع فانقلبت من المجلس
وانا احترمه واحمله

النقل والنقلة

ليس العلم وقفا على امة معينة ولا على اهل دين خاص ولغة خاصة بل العلم
مشاع بين سكان الارض بقنيسه الراغبون فيه ممن عرفوا غناؤه لم وفئدته انيام
جامتهم واعلاء كلمتهم كما ان الحضارة تنتقل من يد الى يد وتأخذها الامة المتحضرة
عن جاريتها او ترثها عن اختها الناهية . ولذلك لم تستغن امة في العقل عن غيرها
ما يعوزها من علوم المشر على اختلاف انواعها تولا ينفع به اهل جيلها وقبيلها
ويؤثر الاثر المطلوب في العقول . فقد نقل الفرس علومهم عن جيرانهم الهنود ونقل
الرومان عن اليونان ونقل اليونان عن المصريين ونقل العرب عن اليونان والفرس
ونقل الافرنج عن العرب واليونان والرومان وغيرهم من امم الخليقة . وقد مست
الحاجة في هذا النقل الى ترجمة امم كتب اونك الاقوام في الصناعات والديانات
وعلم الحكمة والطب والرياضيات والشرائع والتاريخ والادب .

هذا الكثير من العلوم التي نراها لهمدنا وكتبها التي لا تصحى في كل ضرب
من ضروب المعرفة النافعة لسعادة الخلق هي ولا جرم من عمل القرون المتطاولة
هي زبدة تجارب صفوة بني آدم واغض ثمرات عقولهم منذ الوف من السنين تكونت
فيها امم كثيرة ثم بادت وقامت مدنيات تذكروا منها ما نقل اليها ومنها ما
لم ينتقل . فكما ان اللغات والشعوب ترجع الى اصول قليلة تفرع عنها هذا العدد
الذي من الاجيال المعروفة في قارات الكرة الارضية الخمس فكذلك كانت العلوم